على بلوغ تلك الغاية. فما جعلت حشرة بعينها تجوع إلى غذاء بعينه إلّا أوجدت لها ذلك الغذاء، ومع الغذاء المقدرة على الوصول إليه والتمتّع به. وهي ما خلقت قُفلاً إلّا خلقت له مفتاحاً. ولا أثارت فينا الشوق إلى أمر من الأمور إلّا لأنّها سلّحتنا بالفكر والخيال لتمكّننا من بلوغ ما نشتاقه.

ونحن ما نسينا أمساً قريباً جدّاً كنّا نشتاق فيه أن نجاري الطير في الهواء والأسماك في الماء، وأن يتكلّم واحدنا في المشرق فيسمعه الآخر في المغرب. وها نحن اليوم لنا الجوّ بساط واللجّة مسرح، ولنا الأثير قرطاس والبرق قلم. ولنا فوق ذلك القدرة على دكّ الجبال. كلّ ذلك ونحن ما نزال عبيد البهيمة فينا إلى حدّ بعيد. فكيف بنا يوم نتحرّر من البهيمة ونملك كلّ ما فينا من قوى الفكر والخيال؟

من طبيعة ما يصدر عن مصدر ما أن يحنّ أبداً إلى مصدره. فالولد يحنّ إلى والديه، والغريب إلى أوطانه، وقطرة الطلّ إلى البحر، وشعاع الشمس إلى الشمس. كذلك يحنّ التراب فينا إلى التراب، والنور إلى النور. وشوقنا إلى المعرفة الكاملة، والحرية القصوى، والقدرة المطلقة، والبقاء الدائم هو النور فينا يحنّ إلى النور ويهدينا السبيل السويّ إليه. وهذا النور يأتلق ويخبو على قدر ما نُقبل عليه أو